دمى لعّب الاطفال الفخارية خلال العصر البابلي القديم
(دراسة نماذج غير منشورة من المتحف العراقي)

م. م. حسن جاسم محمد العارضي
كلية الاثار/ جامعة الكوفة
hassanj.alardi@uokufa.edu.iq

الخلاصة:
تعد دراسة الدمى الفخارية في بلاد الرافدين بشكل عام والعصر البابلي القديم بشكل خاص من المواضيع الفنية المهمة والمميزة في حضارة بلاد الرافدين، سيما إنها تكشف لنا جوانب مهمة عن طبيعة المجتمع ومعرفة بنيتهُ وتعد وثيقة تضم مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية ونظراً لأهمية هذه الدراسة تناول البحث مجموعة من الدمى الفخارية التي تعّبر عن النشاطات والأعمال التي مارسها الإنسان البابلي في حياته اليومية، فقد استطاع سكان بلاد الرافدين عن طريق أعمالهم الفنية تخليد تقاليدهم وعاداتهم وانظمتهم ودياناتهم، فالأعمال الفنية التي عثرت عليها بعثات التنقيب الآثارية ما هي إلا نتاجات لمظاهر حياة سكان بلاد الرافدين، وهي بذلك تعدُّ وثيقة أساسية يعتمد عليها ليس في مجال التاريخ فحسب وإنما في مجال الفنون لما تضمنته من مواضيع ومضامين فنية، ومن بين الدمى الفخارية الكثيرة المكتشفة في المواقع الاثرية التي تعود بتاريخها الى العصر البابلي القديم دمى لعب الاطفال المميزة بأشكالها الحيوانية والبشرية والمركبة والتي شاع تنفيذها بشكل كبير خلال العصر البابلي القديم مقارنةً مع العصور التاريخية الأخرى.

الكلمات المفتاحية : الدمى الفخارية، فنون بلاد الرافدين، لعّب الأطفال، العصر البابلي القديم، المتحف العراقي.

Dolls from children's games in the ancient Babylonian era
(An unpublished study of sculptures from the Iraqi Museum)

Assist. Lect. Hassan Jassim Mohammed Al-Ardhi
College of Archeology/ University of Kufa
hassanj.alardi@uokufa.edu.iq

Abstract

The study of pottery dolls in Mesopotamia in general and the ancient Babylonian era in particular is one of the important and distinctive artistic topics in the civilization of Mesopotamia, especially as it reveals important aspects to us about the nature of society and knowledge of its structure and is a document that includes various social, economic, political and religious aspects. A group of pottery dolls that express the activities and works that the Babylonian man

practiced in his daily life. The inhabitants of Mesopotamia were able, through their artistic works, to immortalize their traditions, customs, systems, and religions. Thus, it is considered an essential document that is relied upon not only in the field of history, but also in the field of arts, due to its artistic topics and contents. Among the many pottery dolls discovered in archaeological sites that date back to the ancient Babylonian era are children's toys that are distinguished in their animal, human and composite forms, which were commonly implemented. Significantly during the Old Babylonian era compared to other historical eras.

Key Word: Pottery dolls, Arts of Mesopotamia, Children's toys, Old Babylonian period, The Iraqi Museum.

المقـدمة:

تميزت حضارة بلاد الرافدين بتكاملها ومعالجتها كافة الجوانب الحياتية وأحد أهم هذه المعالجات التي اهتم بها سكان بلاد الرافدين الفنون بمختلف اشكالها، وتكمن أهمية فنون بلاد الرافدين بما تحمله من أصالة وفردية وسبق، فقدمت أعمالا فنية عُدّت مثالاً بارزاً للإبداع الفني بين حضارات العالم القديم، ونظرا لكثرة الدمى الفخارية المكتشفة في المواقع الآثارية، ولدقة التفاصيل الممثلة عليها، وتنوع موضوعاتها، وتعدد اشكالها، وأهمية هذه الدراسة وما تمنحه من مادة اضافية لتاريخ الفن.

اختيرت هذه المجموعة من الدمى الفخارية من المتحف الوطني العراقي منتقاة من مصادر متنوعة لتكون موضوع للبحث لما تحمله من أهمية ارتبطت بعلاقتها الوثيقة بالفكر الديني الرافديني وانعكاسها على المجتمع وما يمارسه أفراده من طقوس دينية آنذاك ،إذ عبرت عن الدور الذي يؤديه الدين في حياة الفرد واعتماد الفن كوسيلة للتعبير عنه، فكان فرصة مهمة للتعرف على الكثير من الطقوس الدينية التي تم تنفيذ موضوعاتها على الدمى الفخارية ومحاولة التوصل إلى سبب تنفيذها على هيئة دمى حيوانية صغيرة اذ تسعى الدراسة الى تحديد المدة الزمنية التي استغرقها فن اقامتها واماكن انتشارها وهل كان ذلك مقتصراً على مواقع وازمان محددة من تاريخ بلاد الرافدين ام كان عاماً شاملاً للعصور والمدن كافة وهو ما سيناقشه البحث.

لعّب الاطفال وموضوعاتها.

مما لاشك فيه ان نتاجات سكان بلاد الرافدين في مجال الفن كثيرة ومتعددة، ونحن بصدد البحث عن الدمى الفخارية الخاصة بلعب الاطفال بأشكالها وانواعها المختلفة من الحيوانات الاليفة والمفترسة والطيور وغيرها[1] فلا بد من الاشارة الى تاريخ ظهورها الذي يعود الى عصور ما قبل التاريخ، اذ عثر على قطعة فخارية في الطبقة الخامسة من موقع يارم تبه والتي تعود الى عصر حسونة على شكل انبوب فخاري طويل نسبيا ينتهي برأس خروف، استعملت كصفّارة بدليل وجود الثقوب المنتظمة على سطح الانبوب وهي بذلك تمثل بداية صناعة لعب التسلية واللهو والآلات الموسيقية الخاصة بالأطفال، ومن

عصر العبيد وبالتحديد من موقع تبه كورا عثر على كسر فخارية تمثل صفّارات على هيئة طيور واخرى مصنوعة من العظام استخدمت للّعب واللهو من قبل الأطفال في الموقع نفسه[٢].

وطبقا للظروف المناخية المتنوعة فقد حظيت البيئة الرافدينية بوجود أنواع عديدة من الحيوانات وبأعداد كبيرة وذلك بحكم اعتدال المناخ فيها واستقرار مواردها المائية، وتنوع الغطاء النباتي وكثرة المراعي الجيدة[٣]، اذ ان النباتات الطبيعية تساهم في ديمومة وتطور الثروة الحيوانية، وبحكم تدجين الانسان لهذه الحيوانات ومعايشته لها اخذت تشغل اهتمامه اقتصاديا ودينيا وفنيا لتواجدها معه في البيئة ذاتها لذا كان للبيئة الدور الاهم في استعارة الاشكال الحيوانية كموضوعات للعّب الاطفال[٤]، اذ عثر في جميع مواقع اثار بلاد الرافدين على دمى حيوانية صغيرة وهذه الدمى ربما تمثل رغبة صيادوا العالم القديم بتدجين تلك الحيوانات او ربما هي لعّب خاصة بأعمال الصيد ويعتقد بان صانعيها كانوا يحتفظون بها لحين تحقق رغباتهم بالاستيلاء عليها بعد ذلك تهمل وربما يتخذها الاطفال للعب والتسلية[٥] فقد عرف عن سكان بلاد الرافدين ولعهم بعمل التماثيل الصغيرة بعضها كان ذات دلالات دينية الا ان معظمها كانت لعب اطفال[٦].

ومن اهم مصادرنا لمعرفة اسماء وانواع هذه الدمى قوائم كتبت على الواح طينية بالخط المسماري في سلسلة معروفة بأول عبارة وردت فيها (ḪAR. RA. ḫubullu)[٧]، اذ قدمت لنا هذه السلسلة جردا كامل بأسماء وانواع الدمى والنباتات والاواني الفخارية[٨]، ظهرت بعض الدمى الفخارية بأشكال وصفات قريبة من الواقع وعالية الدقة من ناحية التنفيذ ويرجح ان يكون المغزى من صناعتها لاستخدامها في طقوس سحرية وشعائر دينية[٩] او ربما تمثل لعّب اطفال بدلالة وجود بعض نماذجها في قبور الاطفال[١٠].

وردت تسمية الدمية (لعبة) في النصوص المسمارية السومرية بالصيغة (ZA.NA) ويرادفها باللغة الاكدية الصيغة (passu)[١١] اما في اللغة العربية فقد ورد مصطلح دمية: باللفظ دُمّى وهي صورة مزينة وفيها حمرة كالدم/ صنم[١٢].

وهذه الصناعة وجدت لتسلية ولهو الاطفال خصص البعض منها للذكور والبعض الاخر للإناث مستوحاة من البيئة التي يعيش فيها الطفل[١٣] وتنوعت مواضيعها اذ نجد ان بعضها عمل على شكل قوارب وفي مقدمتها ثقب يربط به خيط بغية السحب وبعضها بهيئة عربات والقسم الاكبر منها عمل باشكال حيوانية معظم نماذجها مجوفة البدن ولها قاعدة مستوية واخرى ثقبت من الوسط ثقبا نافذا لغرض امرار عصا مع ترك نهاية او مسافة بسيطة في كل جانب لتثبيت عجلة من الفخار وبهذا تصبح الدمية بهيئة عربة ويمكن سحبها من الامام بواسطة خيط يثبت بالثقب الامامي او تدفع باليد[١٤].

ويلاحظ انتقال اسلوب الدمى (لعّب الاطفال) على مراحل وحسب مدارك الطفل من السحب الى الدفع مع الامساك بالدمية ثم دفعها بدون امساك ، وجهزت بعض اللعب على هيئة حيوان بثقوب ليربط بها خيط اثناء سحبها ، وعملت ثقوب في ظهور البعض من هذه الدمى بقصد تدليتها او لاحتوائها على العطور والمراهم ومواد التجميل[١٥].

اشكال ومضامين لعّب الاطفال:-

١- **العجلات:** ارتبط ظهور العجلة في حضارة بلاد الرافدين بصناعة الفخار(دولاب الفخار) ثم تعددت استخداماتها والمهام التي تؤديها فاستخدمت في صناعة العربات العسكرية وعربات النقل ولعب الاطفال[١٦]، ووردت تسميتها باللغة السومرية ^{giš}UMBN.GIGR، ويرادفها باللغة الاكدية magarru[١٧].

٢- **العربات:** تعد العربات الفخارية ذات العجلات احد اهم ابتكارات حضارة بلاد الرافدين[١٨] شكل رقم(١) وقد خصصت منذ اختراعها لأول مرة مطلع الالف الرابع ق.م كلعبة للهو وتسلية للاطفال[١٩]، عرفت العربة في اللغة السومرية بالصيغة ^{giš}MAR.GIGR وباللغة الاكدية narkabtu[٢٠]، وصنعت بعض العربات من المعادن فقد تم العثور على اقدم نموذج لعربة صنعت من البرونز في موقع تل اجرب تعود الى عصر فجر السلالات[٢١].

وفي العصر البابلي القديم ظهرت نماذج صغيرة من العربات الفخارية معظمها تحتوي على واجهة مصورة بمشاهد الالهة انانا ونركال والهة جالسة على كرسي مزين بواجهة معبد مع رموز الالهة[٢٢]، وان هذه الواجهات هي الواح فخارية بالأصل مصنوعة بالقالب وتوضع على العربة[٢٣].

٣- **القوارب:** تميزت البيئة الرافدينية بمميزات فريدة ساهم في تكوينها عوامل عديدة في مقدمتها الموقع الجغرافي المهم ووفرة المياه وهطول الامطار والرياح الموسمية وتنوع التضاريس مما شجع على الملاحة النهرية وصناعة القوارب والسفن بمختلف اشكالها واحجامها[٢٤].

وردت في النصوص التسمية السومرية بالصيغة ^{giš}MA$_2$ ويرادفها باللغة الاكدية eleppu بمعنى قارب (سفينة) [٢٥] اذ شاع استخدامها في العصر البابلي القديم على نطاق واسع وازدهرت صناعة السفن والملاحة النهرية والبحرية[٢٦]، وتم العثور على اقدم نموذج لقارب شراعي في مدينة اريدو يعود الى عصر العبيد حوالي ٤٠٠٠ ق.م وهو قارب صغير الحجم اخضر اللون له نهاية مستديرة من الجهتين[٢٧] كما صورت لنا المشاهد الفنية خاصة الاختام الاسطوانية اشكال مختلفة من القوارب النهرية[٢٨] واسفرت نتائج التنقيبات البريطانية في موقع مدينة اور عن الكشف على العديد من نماذج القوارب مصنوعة من مواد مختلفة كالفضة والبرونز في المقبرة الملكية من الالف الثالث ق.م[٢٩].

٤- **الخشخاشات:** كشفت اعمال التنقيبات الاثرية في مواقع عديدة من حضارة بلاد الرافدين على دمى فخارية صغيرة الحجم تمثل حيوانات مختلفة مهنا الخنزير والضفدع والطيور بأنواعها وحيوانات اخرى لم يتمكن المنقبين من تحديد نوعها لعدم وضوح معالمها[٣٠]، فاطلق الباحث الالماني شتاودر تسمية الخشخاشة على الدمى الفخارية الحيوانية المجوفة وصغيرة الحجم التي تعود الى العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤) والعصر البابلي القديم (٢٠٠٠-١٥٩٥ ق.م)[٣١]، وظهرت انواع اخرى على شكل كروي مقرنص ذا نتوءات تعود للعصر البابلي القديم (عصر ايسن- لارسا) ونوع اخر صنع بشكل مقبض صغير في جهة واحدة شكلها كروي مجوف يحتوي بداخله على قطع حجرية صغيرة تصدر اصواتا عند رجها وارتطامها مع بعظها او بجدار الدمية الكروي المثقب، واستمرت صناعة الخشخاشات كدمى لعب اطفال حتى نهاية العصر السلوقي وبعد ذلك

حلت محلها صناعة جديدة مثلت النصف العلوي من جسم الانسان واقتصرت صناعتها في بلاد الرافدين(٣٢).

اظهرت نتائج التنقيبات الاثرية التي اجريت في تل اسمر في الطبقة التي تعود الى العصر البابلي القديم نماذج متنوعة من الخشخاشات والتي استخدمت للعب من قبل الاطفال من بينها الاشكال المقرنصة والمحززة ومثقوبة من جهتين ومنها على شكل طيور من الالف الثاني ق.م(٣٣). وفي موقع تل حرمل عثر على خشخاشة فخارية ذات بدن كروي مزين باطار بارز ومحزز ولها قبضة كسر جزء منها في الطبقة الرابعة من الموقع(٣٤).

كما عثر في موقع مدينة سبار على نموذجان من لعب الاطفال الاولى تمثل خشخاشة فخارية مدورة الشكل ومزينة بنتوءات بارزة صغيرة والثانية دمية فخارية بشكل حيوان السلحفاة(٣٥).

وفي موقع مدينة بابل عثر على دمى لعب الاطفال وبمجاميع كبيرة تعود للعصر البابلي القديم وتنوعت نماذج الخشخاشات في موقع بزيخ منها اشكال حيوانية كالاسد والكبش والدجاج وغيرها من الدمى الحيوانية(٣٦).

٥- **الاسرّة:** وردت تسمية السرير باللغة السومرية بالصيغة $^{giš}NA_2$ وفي اللغة الاكدية بالصيغة eršu(٣٧). وتم الكشف عن العديد من نماذج الاسرة الفخارية بأشكال واحجام مختلفة في مواقع عديدة تعود الى العصر البابلي القديم، وهناك نماذج من الاسرية صنعت من الحجر واخرى من الخشب بعضها مطعم بأحجار كريمة وقطع من العاج وهذا النوع من الاسرة خاص بالعائلة الحاكمة(٣٨).

٦- **الكراسي:** عرف الكرسي باللغة السومرية بالمصطلح $^{giš}GU.ZA$ ويقابله بالاكدية المصطلح kussù(٣٩) وصورت لنا الاعمال الفنية العديد من اشكال وطرز الكراسي فضلا عن النماذج التي عثر عليها اثناء التنقيبات الاثرية منها عروش الالهة والملوك والموظفين ولعب الاطفال صنع البعض منها من القصب والبعض من الحجر والمعادن والفخار، ولما كان الأثاث قد نشأ في فترة مبكرة كان فيها الناس يجتمعون حول الشخص الأكثر قوة في المجموعة لذا نشأت الحاجة إلى توفير مقعد أو كرسي بسيط يجلس عليه قائد المجموعة ليحتل الموضع المركزي بين أفراد مجموعته ليعطي انطباعاً متميزاً عن مكانته الاجتماعية ولمزيد من الراحة والأمان من البيئة المحيطة فلقد عمل الإنسان على صنع بعض أنواع الأثاث المرتفع عن الأرض والمتمثل بالكراسي والأسرة والدكاك المصنوعة من اللبن، اذ ترجع أقدم الأدلة المادية لبقايا الكراسي في بلاد الرافدين إلى نهاية الألف الرابع ق.م وذلك عندما تم العثور على بقايا بعض الكسر التي كانت تزيين مقعد أو عرش في مدينة الوركاء وبالتحديد في فناء معبد الآلهة اينانا(٤٠).

وصف وتحليل النماذج الفنية:

١- خشخاشة بهيئة حيوان شكل رقم (٢) IM-153504.

دمية فخارية حيوانية كاملة نفذت من مادة الطين النقي والخالي من الشوائب بعد مزجها بقليل من الرمل، سطحها الخارجي مدلوك دلكا جيدا ومطلية بطلاء خفيف من طينة نقية ملونة مما اكسبها مظهر جمالي، مفخورة بدرجة حرارة عالية، مثلت صغيرة الحجم (الطول ٩,٥ سم العرض ٣,٣ سم الارتفاع ٤,٥ سم)، اتضح بعد معاينتها بانها تمثل خشخاشة بهيئة بقرة مسمنة منتصبة الرأس والجذع، مجوفة ولها ثقب مركزي في منتصف اعلى الظهر يتم من خلاله ادخال قطع صغيرة من الحصى او الحجر تصدر اصواتا عند رجها وارتطامها مع بعضها او ارتطامها بالجدار، عمل الرأس والارجل من نفس كتلة الجسم في حين عمل الذيل والاذان بطريقة الاضافة واللصق، حدد الفم بحز صغير ومسترسل نحو الاسفل وعملت العيون بأسلوب الحز الدائري وقد حزز الجسم بحزوز صغيرة مستقيمة ومتوازية وان هذه الشبكة من الخطوط التي غطي بها جسم الحيوان تضفي صبغة دينية وجمالية على الدمية وتوضح وضيفتها التي صنعت لأجلها كدمية للعب.

كان الرعي بالماشية مهما لاقتصاد سكان بلاد الرافدين منذ فترات حسونة وحلف وكان للأبقار أهمية بالغة في حياة السكان الدينية في عصر حلف[٤١] كما هو واضح في فنونهم، فقد عثر في مواقع نينوى وتل أسود من فترة حلف على عدة بقايا عظمية للأبقار تعود إلى عروق مدجنة[٤٢]. ويؤكد لنا العثور على رأس بقرة من هذه الفترة على تدجين الابقار والمواشي بوجه عام[٤٣]، وكذلك الأمر في مواقع عصر العبيد، اذ تشكل الماشية الكبيرة من الثيران والأبقار موارد متعددة للسكان حيث كانت ذات اثر مهم في اقتصاديات المدينة المبكرة في الشرق الادنى القديم بشكل عام والعراق بشكل خاص نظرا لفوائد هذه الماشية المدجنة عند استغلالها في الحياة اليومية[٤٤].

عرفت الأبقار بالصيغة السومرية AB ترادفها بالاكدية arhu وكذلك عرفت بالصيغة السومرية GU4AB- تقابلها بالاكدية Litt4، وعرف العجل بالصيغة السومرية GU4NINDA وبالصيغة الاكدية biru miru[٤٥].

نحتت هذه الدمية باليد الحرة ونفذت بعض تفاصيلها بواقعية الا ان الاطار العام لها تجريدي كون الاشكال التجريدية تكون حرة ومثيرة وتحمل دلالات رمزية لدى الاطفال لما تحتويه من قوة بنائية معبرة.

٢- لعبة اطفال بهيئة طير شكل رقم (٣) IM- 188182.

قطعة من الفخار تمثل لعبة اطفال صغيرة الحجم نسبيا (الطول ٦ سم، العرض ٣,٥ سم، الارتفاع ٦,٤سم) على شكل دمية لطير الدجاج صناعتها يدوية وسمجة تظهر عليها اثار اصابع اليد من طينة نقية ومفخورة جيدا مكسورة الراس ولها قاعدة دائرية وبدنها منتفخ وصلد، العيون واسعة ومضافة بطريقة اللصق على شكل اقراص من الطين، جناحاها مضمومان وعلى جسمها عملت خطوط محززة تمثل الريش واهمل القسم الاسفل من الجسم واكتفى الفنان بالقاعدة المستديرة.

ترجع أول إشارة الى الطيور إلى زمن الملك لوكال بندا اذ ذكرت كقرابين في احد النصوص، الذي أمر بتقديم قرابين لوالده المتوفى، ضمت ثلاثة أنواع من الطيور، ديك واحد وثلاث دجاجات وعشرة أفراخ صغيرة[٤٦]، ثم وردت كثيرا في النصوص الاقتصادية والنصوص الدينية اذ استخدمت الطيور في بعض أعمال السحر، فقد ورد ما يشير إلى قيام الساحر بذبح صغار الدجاج والاوز فوق قلب المريض، ثم

يقوم بعملية نقل الدجاج والاوز إلى يديه ثم يرتل تعويذاته، ولغرض تحطيم السحر الاسود كانت تصنع تماثيل حيوانية صغيرة ومن ضمنها تماثيل طيور القربان والتي اتخذت كدمى لعب للاطفال(٤٧)، لم يظهر الدجاج قبل الألف الثاني قبل الميلاد في الاعمال الفنية، واول ظهور لنماذجها يعود الى العصر البابلي القديم، كما ظهرت على أختام من العصر البابلي الحديث(٤٨).

صورت الدمية باسلوب تجريدي مختزل ازاء تغييب محاكاة الطبيعة خصوصا الاطراف والرأس فقد ابتعد النحات عن تمثيل التجسيد الواقعي باتجاه تفعيل نوع من القراءة التأويلية للمنتج الفني.

٣- لعبة اطفال بهيئة كبش شكل رقم (٤) IM-123481.

دمية فخارية على هيئة كبش (خروف) بقرون ملتوية الى الامام (الطول ٦ سم، العرض ٤ سم، الارتفاع ٤ سم) منتصب على قوائمه، معمولة من طينة نقية بدرجة حرارة متوسطة تظهر بلون احمر قرمزي، عملت الاطراف (القوائم والمؤخرة) على شكل بروز صغير من نفس كتلة الجسم واختزلت تفاصيلهما، ومثّل الرأس على شكل مثلث مجرد من العيون في حين مثّل كل من الفم والانف بحزوز صغيرة، وعلى الظهر عملت مجموعة من الحزوز تمثل الصوف.

وتعتبر الاغنام أولى الماشية المدجنة بشكل قطعان وبطريقة رعي بدائية في كهوف وملاجئ شمال بلاد الرافدين(٤٩) حيث وجدت بقاياها العظمية في زواي جمي وكهف شانيدار(٥٠)، وكانت الأَغنام بالدرجة الاساس العمود الفقري لأهم منتج حيواني أَلا وهو الصوف، لذلك احتلت الاغنام المرتبة الاولى بالتدجين من بين الحيوانات الاخرى، وقد عرفت بالنصوص المسمارية بالصيغة السومرية UDU يقابلها بالاكدية Immeru (٥١)، جمعت هذه الدمية بين اسلوب التجريد ومحاكاة الطبيعة.

٤- لعبة اطفال بهيئة قطة شكل رقم (٥) IM- 202740.

دمية من الفخار على شكل قطة صغيرة الحجم (الطول ٤ سم، العرض ٣ سم، الارتفاع ٣ سم) عملت من كتلة طينية كروية مثّلت بوضعية جلوس على قوائمها الخلفية عمل الراس بشكل بروز مثلث من نفس كتلة الجسم وكذلك الاطراف وتم تزيين الجزم بمجموعة حزوز لتجاوز المساحات الصماء وقد اختزلت الكثير من تفاصيلها خاصة منطقة الراس والاطراف.

عرف القط في العراق القديم بنوعين الاول منهما يدعى قط الغابة، والثاني القط البريّ الشرقي(٥٢)، وقد ظهرت القطة في الاعمال الفنية بنوعيها الأليف والمتوحش (٥٣)، وتم التمييز بين القطة الاليفة والبرية في النصوص المسمارية، فعرفت القطة الأليفة بالصيغة السومرية SA.A يقابلها بالاكدية šurānn (٥٤)، في حين وردت القطة المتوحشة بالصيغة السومرية SA.A.RI يرادفها بالاكدية murašu (٥٥). نفذت هذه الدمية باسلوب تجريدي تعبيري.

٥- لعبة اطفال بهيئة صفّارة شكل رقم (٥) IM- 202740.

صفّارة من الفخار على هيئة دمية حيوانية مكسورة الاطراف وملامح الراس، اتضح بعد معاينتها بانها تمثل حيوان الخنزير (الطول ٨ سم، العرض ٥ سم، الارتفاع ٦ سم) عملت من كتلة طينية مجوفة بيضوية الشكل ولها ثقبين احدهما جانبي والاخر علوي يتوسط منتصف ظهر الدمية، وبتتبع كسر الثقبين يتضح انهما كانا يتصلان بأنبوبين فخاريين يتم النفخ في احداهما ويستخدم الاخر لتقسيم الهواء داخل الكتلة البيضوية والتحكم بأنماط الصوت الصادر عن الصفير، عملت اطرافها من نفس الكتلة البيضوية كقطعة

واحدة، ويعتبر الخنزير بأنواعه احد اهم الحيوانات المدجنة في العراق القديم اذ وجدت بقاياه العظمية في مستوطنة جرمو ومن النوع البري[٥٦] في حين تم العثور على أضراس ذات أحجام صغيرة في الطبقات العليا من تلك المستوطنة تشير الى احتمالية حدوث عملية التدجين[٥٧] وذكر اسم الخنزير في النصوص المسمارية بالصيغة السومرية SAH وبل الاكدية sahu[٥٨].

لكن الغموض يكتنف أصل تدجين الخنزير ولا يوجد دليل واضح يعيّن زمان ومكان اقدم تدجين له بسبب تلف العظام التي استخرجها المنقبين من مواطن الآثار[٥٩] في ضوء هذه المعطيات فإن الباحثين يشيرون الى تحديد تأريخ التدجين في عصر حسونة[٦٠] ويستندون في هذا التحليل على حدوث عملية التدجين في موقع جرمو وموقع العمق بسوريا من عصر حسونة في العراق[٦١] وتشير نتائج التحليل لبقايا الخنازير العظمية إلى أنها برية في حين نرى الظهور المفاجيء لأشكال الخنزير المدجن في الاعمال الفنية[٦٢]. نفذت هذه الدمية باسلوب تجريدي.

الاستنتاجات:

مما تقدم في دراستنا عن دمى لعّب الاطفال الفخارية خلال العصر البابلي القديم يمكن ان نوجز اهم الملاحظات والنتائج التي توصل اليها البحث:

١- ان صناعة الدمى الفخارية أحد أهم الفنون الابداعية التي مارسها سكان بلاد الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ كون النحت أكثر الفنون الهاما وأصدقها تعبيرا عن المشاعر والأحاسيس الفنية، لذا وردت اسمائها وتفاصيلها في النصوص المسمارية مع ذكر انواعها ومنها دمى لعب الاطفال، اذ ان لدراسة هذا النوع من الدمى أهمية كبيرة في معرفة تطور الاساليب الفنية المتبعة في مختلف عصور بلاد الرافدين، اذ ارتبطت النتاجات الفنية بمفهوم العصر الذي ظهرت فيه مع تصدر نمط فني معين على بقية الانماط الأخرى باتجاه الرمز او التجريد او التعبير مما يتيح لنا تتبع تطور التعبير الفكري النتاجات الفنية والتي تعد بمثابة عرضاً حياً في رؤية الاشياء وتمثيلها او التعبير عنها، وكانت نماذج الدمى الفخارية المجسمة منذ بداية صنعها تمثل الطقوس الدينية التي مارسها الانسان وفي احيان كثيرة اتخذت لعب للاطفال.

٢- كان لعوامل البيئة والمؤثرات الطبيعية الاثر الاكبر في اتخاذ الاشكال الحيوانية كموضوع لدمى لعب الاطفال سواء أكانت هذه المؤثرات مادية أم فكرية نظرا لارتباط حدوث التغيرات الثقافية الهامة على مستوى الإنتاج الفني بمتغيرات البيئة الجغرافية والفكرية، كما كان لأسلوب التفكير التأملي الذي امتاز به سكان بلاد الرافدين دور مهم في خلق فن المصغرات من الاشكال الطبيعية بدلالات رمزية عميقة.

٣- اوضحت نتائج التنقيبات الاثرية انتشار الدمى الفخارية في جميع انحاء بلاد الرافدين منذ عصور قبل التاريخ وحتى العصور الاسلامية وقد ازدهرت وانتشرت بشكل كبير خلال العصر البابلي القديم وشهدت التنوع في تقنيات تنفيذها ما بين الاختزال البسيط والشديد اذ شجعت البيئة الفنان على عمل نماذج فنية منتقاة من الطبيعة لتكون مصدر لموضوعاته بعقلية تستند الى التجريب في انتقاء جمالية الدمية وتأثيرها الروحي على الطفل.

٤- معظم النماذج الفنية تجمع بين اسلوبين فنيين كالاسلوب التجريدي والاسلوب الرمزي او الاسلوب التعبيري والاسلوب الواقعي، ويكون الانتقال بين اسلوبين في العلاقات الشكلية خاضعاً للتشفير، فمن

خلال النماذج الفنية التي تناولتها الدراسة نجد أن فنون بلاد الرافدين خلال العصر البابلي القديم تكشف عن توجهات الفنان نحو الإحساس بالجمال والتأويل وميله للتجريد والرمز والتعبير، فأفصحت نتاجاته الفنية عن ظاهرة المصغرات.

٥- اتضح بعد تحليل النماذج الفنية ان عقلية الفنان البابلي كانت غنية بالأفكار والمفاهيم والهواجس الخاصة بالوجود والبيئة الطبيعية، فسعى من خلال اعماله الفنية الى ايجاد صيغ تشفير لتلك المفاهيم، ومن هذه الصيغ هي تصغير الاشكال واختزالها وتبسيطها واحيانا تجريدها من واقعيتها أي تحويل صورة الاشكال في الطبيعة من واقعيتها الى ما وراء الطبيعة او المطلق.

٦- ان فن صناعة الدمى الفخارية هو الطابع المميز لحضارة العراق القديم، وهو مرآة عاكسة ومعبرة عن حياة الناس والمجتمع والبيئة الطبيعية، اذ حاول الفنان العراقي القديم محاكاة واقعه وتجسيده في نتاجاته الفنية راصداً تفاصيل الحياة بتنوعها وثرائها، ولم يغفل اي من جوانبها فكانت الحيوانات جزءاً من الواقع البيئي والاقتصادي حاضرة في الاعمال الفنية بمختلف أنواعها، وقد نفذها بأساليب مختلفة تظهر مقدرته وبراعته الفنية والحرفية.

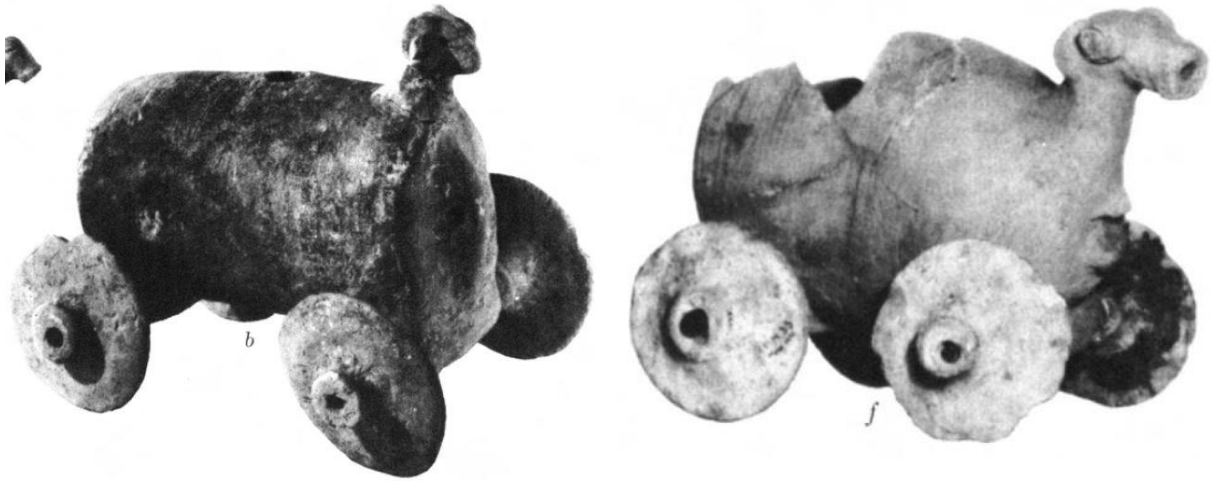

شكل رقم (١)

Delougaz, P, Pottery from the Diyala Region, the university of Chicago oriental institute publication vol.1x lll-1952.P322

شكل رقم (٢)
IM-153504

شكل رقم (٣)
IM- 188182

الشكل رقم (٤)
IM-123481

شكل رقم (٥)
IM- 202740

الشكل رقم(٦)
IM- 188536

الهوامش:

(١) لويد، سيتون، فن الشرق الادنى القديم، ت محمد درويش، بغداد، ١٩٨٨، ص٣٢.

(٢) رشيد، صبحي انور، الموسيقى، حضارة العراق القديم، ج٤، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٣٠.

(٣) النجم، حسين يوسف، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة موصل ، ٢٠٠٦، ص ٢١-٢٢ .

(٤) الخاتوني، سلطان عبد العزيز، اثر البيئة الطبيعية في تاريخ وحضارة بلاد الرافدين ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٤ .

(5) Braidwood, R & L, S. Prehistoric Archeology Along The Zagros Flanks, OIP, Vol 105, Chicago, 1983, P 385.

(٦) مورتكات، انطون، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سليمان، و سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥، ص٥٤.

(7) Landesberger, B, die fauna des alten Mesopotamien nach der tafel der serie ḫar ra ḫubullu, Leipzig, 1934; Landesberger, B. Materialien Zum Sumerischen Lexikon, MSL,Vol V, Roma,1957, PP173-182.

(٨) السلسلة: هي مجموعة معجمية متكون من ٢٤ لوح طيني ثنائي اللغة (سومري- اكدي) وهي من اقدم المعاجم اللغوية في تاريخ البشرية، صنفت بمداخل تزيد عن ٩٧٠٠ مدخل تتضمن اختراعات بلاد الرافدين الاصيلة خاصة اللوح رقم ١٠ حيث يضم قائمة تحتوي على اكثر من ٣٥٠ اسم لاوعية فخارية في حين يضم اللوح رقم ١٤ قائمة باسماء الحيوانات البرية والمفترسة اما اللوح رقم ١٣ فيضم قائمة باسماء الحيوانات المدجنة للمزيد ينظر: تي بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين، الاسس المادية، ت سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٦، ص٢١٤؛

Landesberger, B., "The Founa of Ancient Mesopotamia (msl, 81,2) Roma, 1962, P173.

(9) Tobler.A.J, Excavations at Tepe Gawra, university Of Pennsylvania Press, Vol2 Pennsylvania 1950, P165.
(١٠) كوركيس، احلام عبد الاحد، دمى الفخار من موقع سبار، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٩، ص٤٠.
(11) Labat, R. Manual D'epigraphe Akkadenne, (MDA), Paris, 1975,p241,no, 586.; Oppenheim, L. and Others The Assyrian Dictionary Of the Oriental Institute Of the University Of Chicago, CAD, Chicago, 1956, p224.b.
(١٢) المنجد في اللغة والاعلام، ط٢٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٢٥.
(13) Bertman, S. Hand Book to life in Ancient Mesopotamia, Oxford, 2003, P298.
(١٤) حسين، سالم يونس، التنقيب في تل الولاية للموسمين ١٩٩٩-٢٠٠٠م، سومر مج ٥٢، ج١-٢، بغداد ٢٠٠٣، ص٦٧.
(١٥) بارو اندريه، "سومر، فنونها وحضارتها، "ترجمة وتعليق عيسى سليمان وسليم طه التكريتي، ١٩٧٧، ص١٣٢,٣٤٦.
(١٦) مولود، فيحاء، الواح فخارية من مواقع حوض حمرين من العصر البابلي القديم دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٠٢.
(17) MDA, no92b.
(١٨) الهاشمي، رضا جواد، التجارة، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٢٥.
(19) Yadin, Y, The Art of Warfare in Bibilica Lands, Vol 1, London, 1963, P130.
(20) MDA, no307. CDA, N/1,P353:b.
(21) Strommenger, E, The Art of Mesopotamia, London, 1964, P149.
(٢٢) اوتس، جون، بابل تاريخ مصور، ت: سمير عبد الرحيم الجبلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص١٢٠.
(٢٣) مولود، فيحاء، الواح فخارية من مواقع حوض حمرين من العصر البابلي القديم دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٠٢.
(٢٤) سليمان، عامر والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مؤوسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٨، ص٢٨.
(25) MDA, no122.; CAD, E, P90.
(26) Strommenger, E,Op Cit, p113.
(27) Safar, F, & other, Eridu, Baghdad, P231.
(٢٨) حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت، ١٩٨٦، ص٢٥٠.
(٢٩) الصيواني، شاه محمد علي، اور، بغداد، ١٩٧٦، ص٢٩.
(٣٠) رشيد، صبحي انور، الموسيقى، المصدر السابق، ص٤٣٩.
(٣١) رشيد، صبحي انور، دراسة آثارية مقارنة لتاريخ الالات الموسيقية في مصر والعراق القديم، سومر، مج٣٣، ج١، بغداد، ١٩٧٧، ص١٣.
(٣٢) رشيد، صبحي انور، الموسيقى، المصدر السابق، ص٤٣٩.
(٣٣) سجل الحفريات، تل اسمر، الموسم الاول والثاني، رقم السجل ٢٦/٢٥، ١٣/١٣، ٢٨/٢٧، ١٣/١٣ لعام ٢٠٠١-٢٠٠٢.
(٣٤) ناجي، عادل، تنقيبات الموسم السابع في تل حرمل ، سومر، مج١٧، ج١، بغداد، ١٩٦١، ص٢٠٧.
(٣٥) كوركيس، احلام، المصدر السابق، ص١٠٠.
(٣٦) الصبيحاوي، حيدر فرحان، التنقيبات الاثرية في موقع بزيخ للموسمين الاول والثاني ٢٠٠١-٢٠٠٢، سومر، مج٥٢، ج١-٢، بغداد، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، ص١٧٩.

(٣٧) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ت: الاب البير ابونا واخرون، منشورات المجمع العلمي، ط٦، بغداد، ٢٠٠٤، ص٤٣١.
(٣٨) متاب، امل وحمزة، حسين علي، تنقيبات تل محمد، سومر، مج٤٦، ج١-٢، بغداد، ١٩٩٠، ص١٥٦.
(39) MDA, no559 P231.
(٤٠) النعيمي، راجحة، اعياد راس السنة البابلية، سومر، مج٤٦، ج١-٢، بغداد، ١٩٨٩-١٩٩٠، ص١١٦.
(٤١) الدباغ، تقي، "تدجين الحيوان استنادا الى الاثار المكتشفة في المواقع الاثرية" مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، عدد ٣٠ ، ١٩٨١ ، ص ٣٠١ .
(42) Reed. C.A., "Areview of the Archaeological Eridence of Animal Domestication In prehistoric Near East" In : prehistoric Inrestcation In Iraq Kurdistan, Chicago, 1960, PP.69-74.
(43) Ibid. PP.69-74.
(44) Flannery. K.V., Wright. H., "Faunal Remains From the Hut Sounding At Eridu, Iraq" In Summer, 22, 1966, PP.61-62.
(٤٥) لابات، المصدر السابق ، ص٧٦.
(46) Blome, F.,De Opefer Meateriein Babyionien und Israel, Rome,1930, p.192.
(٤٧) الدوري، رياض عبد الرحمن، السحر في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية ، بغداد،٢٠٠٩م، ص٨١-٨٣ .
(48) Van Buren , "The Fauna of Ancient Mesopotamia As Represented In Art", Rome, 1939, P.89.
(49) Braid wood R., From Cave To Village In Prehistoric Iraq American School of Oriental Research Bulletin No. 124, 1951, PP.10-25.
(50) Perkins, D., "The beginning of Animal Domestiction In Near East" In AJA. 77, 1973, P.279.
(51) CDA, p. 128.
(52) Van Buren, Op. Cit, P.10.
(53) Ibid, P.10.
(54) CDA, P.118.
(55) Landesberger, B. MSL,Op.Cit, P.102.
(56) Reed, C, A., Review, Op. Cit, P.139.
(67) Perkins, D., The beginning, Op. Cit, P.280.
(58) Landesberger, B. MSL, 82,p19.
(٥٩) الدباغ ، تدجين الحيوان ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .
(60) Reed, C, A., Op. Cit, P. 140.
(61) Ibid, P. 141.
(62) Van Buren, E, D., Op. Cit, PP.78-81.